(توظيف المصطلح في مخطوط ספר הרזים بالجنيزا القاهرية)

أ.د. نازك إبراهيم عبد الفتاح (*)

يثار للآن جدل حول ترجمة مسمى كتاب ספר הרזים إلى " كتاب الأسرار " بدعوى أن רזים تعني " النحفاء والضعفاء " وأنه لو كان الأصل العبري يقصد "الأسرار" لجاء بالكلمة רזיות .

ويدور هذا الجدال على شبكة الإنترنت في باب الشكاوى حيث يعرب أحدهم عن تذمره لورود إشارة ـ هي في نظره غير صحيحة ـ في تهويده (أغنية رقيقة تغري الطفل بالنوم) . فهناك فقرة تتحدث عن اللعنة קללה في كتاب ספר הרזים والذي أطلق عليه المتذمر كتاب "السحر والرقية " حيث توضع راس جرو خلف منزل أحد لمنعه من النوم . وقد علل تذمره بأن اليهودية لا تؤمن بالسحر والشعوذة. وبناء على ذلك فهو يدحض ترجمة مسمى الكتاب إلى " كتاب الأسرار " بل يفضل تسميته بكتاب النحفاء والضعفاء .

ولكي نقطع أمرا بهذا الشأن يجدر بنا أن نفحص الترجمتين من المنظور اللغوي רזים: جمع רז وهو مصطلح يعني في عصر العهد القديم "السر، الأحجية، الشيء الغامض" וכל רז לא אנס לך (دانيال ٤/ ٦) "ولا يعسر عليك سر" . واستمر في معناه الذي يدل على الأسرار والخفايا في عصر التلمود ומגלין לו רז תורה(אבות ו / ב) "ويكشفون أسرار التوراة" ، مرورا بالعصر الوسيط في قولهم רזין ד רזין "سر عميق" ، وظل في هذا المعنى حتى العصر الحديث . وفي كل عصر من عصور العبرية ظل يرادف السر الغامض والمحجوب .

ووفقا للقواعد النحوية فإن רזים هي جمع רָזֶה ويحلل بأنه صفة تطلق على النحيل، النحيف، الهزيل، الضعيف من الفعل רָזָה "نحل، هزل" مقابلا للفعل العربي "رذي" .

ومجمل القول إننا إذا سلمنا بتصحيح اسم الكتاب إلى רזיות فهو اسم مشتق من רזי ومرادف لـ סודיות المشتق من סודי، وكلاهما يعني "سرى" ، فيكون الاسم المشتق هو "سرية" ؛ أي يكون صحيح ترجمة مسمى الكتاب أصلا "كتاب السرية" . ومن هنا يحسم المنظور اللغوي صحة ترجمة الكتاب إلى "كتاب الأسرار" .

(*) أستاذ دكتور ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس .

وفيما يتعلق بنسبة " كتاب الأسرار " هناك كسرتان من مخطوطين إحداهما كسرة من مخطوطة آدلر(٤/ ٢٧٥٠) من مجموعة آدلر، نيويورك كتب في أولها "هذا كتاب أسرار الحكمة الذي انكشف لآدم من قبل الملاك رازيئيل في السنة الثلاثمائة من حياة يرد بن مهليلئيل بن قينان بن إينوش بن شيت بن أدم " .

والأخرى كسرة من مخطوطة أوكسفورد (**18/30 . C . Heb . Ms**) (كتب في أولها "هذا كتاب من كتاب الأسرار الذي أعطي إلى نوح بن ليمخ بن متوشالح بن حنوخ بن يرد ابن مهليلئيل بن قينان بن إينوش بن شيت بن آدم من قبل رازيئيل الملاك في عام مجيئه إلى الفلك قبل أن يدخله" .

وقد أعطى " كتاب الأسرار " إلى سيدنا آدم حين توسل إلى الرب بعد أن عصاه وأكل من ثمرة " شجرة المعرفة " وفهم الرب وعرف أن آدم أخطأ فغرس في قلبه الصلاة والتوسلات في تضرع وبكاء . فوفقا لما ورد في אוצר מדרשים (ص ص ٤٠٠ : ٤٠٢ ") أنه بعد ثلاثة أيام من توسل آدم جاء إليه الملاك رازيئيل الذي يسكن عند النهر الخارج من جنة عدن وفى يده كتاب " وقال له يا آدم لماذا تحزن وقد أستجيب صلواتك وتوسلاتك وجئت لأجعلك حكيما في أقوال "الكتاب المقدس" فتعرف ما يحدث حتى يوم وفاتك فمن التزم بأقوال "الكتاب المقدس" وعمل به من أبنائك وأحفادك في طهارة من الجسد والروح يمكن أن يفهم ويعرف ما إذا كانت ستحل مجاعة أو يحل جفاف أو تهطل الأمطار أو يكثر المحصول أو يقل أو يتحكم الأشرار في العالم، هل سينتشر الجراد، هل ستنشب الحروب هل يتحكم الموت في بني آدم، هل سيحل القضاء و القدر من السماء ٠٠٠الخ " .

"وما إن سمع آدم هذا الكلام حتى سقط مرتعدا فقال له الملاك رازيئيل" قم ولا تخف وخذ هذا الكتاب من يدي، اعرفه و اعقله وأبلغه لمن يحظى به ويكون من نصيبه" . وما إن أخذ آدم الكتاب حتى اشتعلت النار على شاطئ النهر وصعد ملاك وسط النار إلى السماء وعندئذ أدرك آدم أنه ملاك الرب وأنه من قبل الملك القدوس" .

وتعلم سيدنا آدم من هذا الكتاب الحكمة والأزمنة والبروج وتعلم أسماء الأرض وأسماء السماوات وأيضا أسماء الشمس والقمر .

ووفقا لـ (אוצר המדרשים ص ٤٠٠) فإن الكتاب المسمى بسفر نوح ينقسم إلى ثلاثة أقسام يتناول أولها العقاقير ويشتمل الثاني على صلاة سيدنا آدم ﷺ بعد أن طرد من جنة عدن حيث أعطاه الملاك رازيئيل كتابا فيه الحكمة والأزمنة والبروج (فلك) وأموراً خفية

مستورة، أما الثالث فهو ספר הרזים " كتاب الأسرار " وهو الذي منحه الملاك رازيئيل إلى سيدنا نوح عليه السلام وتعلم منه صنع الفلك وكيفية الخلاص من الطوفان . وعند موته أعطاه إلى ابنه سام الذي منحه بدوره إلى أبنائه حتى وصل إلى سيدنا سليمان .

" فبعد فساد الأرض في أيام نوح بدأت "الأرواح الشريرة" تسكن بني آدم فتضللهم وتحيد بهم عن الصراط المستقيم فحلت بهم الأمراض وأصابتهم البلية، فتوسل سيدنا نوح إلى الرب وصلى له وابتهل فمنحه الملاك رازيئيل هذا الكتاب " .

فمن هذا الكتاب المنقوش على حجر من الياقوت الأزرق تعلم سيدنا نوح عليه السلام صنع الفلك من خشب السرو الذي احتمى فيه هو وزوجه ومن صلح من أبنائه . وحين تفهم عليه السلام معجزات هذا الكتاب سرت فيه روح الحكمة والإدراك والمعرفة وقال "مبارك الرب الذي وهب حكمته للذين يهابونه ومبارك سلطانه على الإنسان في مخافته ينقذ نفوس الورعين الذين يحتمون في ظله، وهو الذي يمن على عبيده بالعقل والمعرفة " .

وقد تعلم سيدنا نوح عليه السلام من هذا الكتاب صنع المعجزات (פלאים) وأسرار الحكمة ومصطلحات الفهم والإدراك وأفكار التواضع والخنوع وأسرار الحكمة لبحث الدرجات العلا والسماوات السبع، وملاحظة " البروج " (מזלות) وملاحظة مسلك الشمس وشرح مسلك القمر، ولمعرفة سبل الدب الأكبر (עש) (فلك)، والجوزاء (כסיל) كوكبة الجبار (فلك) والكيمياء، وقول أسماء حكام كل سماء ومهامهم وبماذا يفيدون كل شيء، وأسماء خدامهم وماذا يراق لهم (يسكب لتقديسهم)، وفى أي فصل تسمع لهم لعمل أي غرض للمتطهرين المقربين إليهم، وليعرف منه قصة الموت وقصة الحياة، ليدرك الخبيث من الطيب، لمعرفة وقت الميلاد ووقت الموت، ووقت الوباء ووقت الشفاء، لتفسير الأحلام والرؤى، لإثارة الحرب وقمعها، للتحكم في الأرواح والمصائب وإرسالها فتذهب كالعبيد، للنظر إلى رياح الأرض الأربعة، للتحكم في صوت الرعد، للحديث عن قصة البرق . . . .

وكعادة اليهود في تأصيل ميراثهم وتاريخهم يرجعون تسليم نوح الكتاب إلى ابنه سام كميراث والذي سلمه بدوره إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام (مع ملاحظة تخطي الأجيال السابقة عليه) واختار سيدنا إبراهيم (وفقا لأقوالهم) أن يورثه إلى اسحق واسحق إلى يعقوب وهكذا حتى انكشف إلى سيدنا سليمان الذي عرف بالتفقه في أمور الأسرار وبرجاحة العقل والتحكم في الأرواح والسيطرة على الشياطين التي تصول وتجول في أرجاء العالم بإذن الله تعالى فينسبون إليه إفكا وافتراء أنه كان ضليعا في الفنون السحرية، بينما يدرأ الذكر الحكيم عنه هذه الشبهة .

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (سورة البقرة آية ١٠٢) وجاء في تفسير الجلالين " كانت الشياطين دفنت السحر تحت كرسي سليمان لما نزع ملكه أو كانت الشياطين تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها ولما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه فرفضوه كتب أنبيائهم . قال تعالى تبرئة لسليمان وردا على اليهود في قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحرا "وما كفر سليمان" أي لم يعمل السحر لأنه كفر ولكن "الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر" ويعلمونهم "ما أنزل على الملكين " أي ألهماه من السحر ببابل (بلد في سواد العراق)" هاروت وماروت " بدل أو عطف ببيان للملكين قال ابن عباس "هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل" ملكان انزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس . وما يعلمان من أحد حتى يقولا (له نصحا) إنما نحن فتنة بلية من الله إلى الناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن .

فكيف ينحدر " كتاب الأسرار " من مستوى كتاب أعطي إلى سيدنا آدم ﷺ أو إلى سيدنا نوح ﷺ أو نسب إلى سيدنا سليمان ﷺ بالكشف (انكشف له) إلى مستوى كتاب ذي طابع سحري ٠ فإذا نظرنا إلى نسخة " كتاب الأسرار " الذي حققه ونشره (מרדכי מרגליות، ירושלים، תשכ"ז) أدركنا انه تجميع لكسرات من مخطوطات مبعثرة في أرجاء الجنيزا تسربت إلى مكتبات في جميع أنحاء العالم. فكيف نثبت أنه هو ذاته الذي أوحي إلى آدم أو نوح أو كشف لسليمان (عليهم جميعا السلام) .

فمن وجهة نظري إن هذه الكسرات كانت من كتيبات تناولت موضوعات سحرية، وقد تبعثرت مثلها مثل نصوص مخطوطات ووثائق الجنيزا ٠ فإننا نجد ورقتين أو وريقتين كانتا في الأصل متتابعتين انتهى بهما الحال في ركنين مختلفين من أركان العالم بل نجد أن كتب الوصفات السحرية قد مزقت عن عمد (عادة من أعلى إلى أسفل حيث مزقت كل ورقة إلى شقتين أو ثلاث أو أكثر و تبعثرت هذه القطع في الجنيزا) (**Gideon Bohak, Genizah Fragments, 2005**) .

فماذا كان السبب من وراء تمزيق هذه الكتب، هل هو من قبيل التمويه والتعمية عن أن اليهود السابقين قد اشتغلوا وانشغلوا بالأمور السحرية فيمحون أي أثر يسجل ذلك، يمزقون الأوراق لكي لا يقدروا على إبادتها عملا بعادة حظر التخلص من أية ورقة في

الجنيزا .

وجدير بالذكر أيضا أن مخطوطات النصوص السحرية تكون عادة مجهولة المؤلف، رغم أن صياغتها توحي بأن هناك مؤلفا صاغها في شكل أدبي يستقي العادات والتقاليد السحرية من جذورها في الدوائر التي تنقل بدورها التقاليد الباطنية في اليهودية في عصورها القديمة وعصر الإسلام المبكر . وقد يرجع ذلك إلى خزي كاتب النص السحري أو ناسخه عند نقل هذه الصيغ الفعالة القوية أو خوفه من ارتباط اسمه بمعرفة محظورة محرمة أو مدمرة .

ونظرا لتصنيف الباحثين "كتاب الأسرار" بأنه كتاب سحر فلا مناص من النظر إليه باعتباره نصا يختص بالسحر اليهودي وقد تداولته الأيدي .(**Geoffry W. Dennis-Encyclopedia Mythtica, P.2004**) حتى أخفي في طيات الجنيزا كقطع ممزقة وكسرات متفرقة، ثم جمع في هيئة كتاب يتضمن نصا سحريا يرجع إلى العصور القديمة ويثبت التقارير القديمة للسحر اليهودي التي تنطوي على عبادة الملائكة والشياطين بالإضافة إلى عبادة "يهوه" و أيضا يعطي تعاليم وإرشادات في هذا الشأن بوصف الصلوات والأضحيات التي تقدم إلى القوى الصغرى (ملائكة المرتبة الرابعة) و كيفية صنع المعجزات .

ومن ثم يصير من الحتمي والضروري أن نشير في هذا المقام إلى أن النصوص السحرية الواردة في الجنيزا القاهرية كانت تعكس الظواهر الاجتماعية والثقافية والحضارية، وتبعث في الوقت ذاته على إثارة الفتنة في النفوس، لكنها بأية حال تعد بالنسبة للمؤرخين في العصر الوسيط مصدرا وثائقيا أصليا مهماً .

تفيد دراسة النصوص السحرية في البحث عن أصل الإنسان وعاداته ومعتقداته (أنثروبولوجيا) . فقد سعى متخصصون كمثل **James Frazer, E.B. Tylor** إلى الفصل مابين محاولة استخدام القوى الخارقة للطبيعة لأهداف شخصية عن الدين "الحقيقي"، وأيضا إلى الفصل مابين الدين " المتحضر والدين " البدائي" (**Michael D. Swartz, Magic All Its Own,**) .

ولاشك أن النصوص السحرية رغم ما يكتنفها من غموض وسلبية فإن دراستها تميط اللثام عن الحد الفاصل بين الصلاة وبين " التعزيم " مثلا، بين طبيعة أداء الطقوس وبين "التلبس" النفسي والاجتماعي، كما تلقي الضوء على مشكلات واقعية ملموسة عند طوائف اليهود في العصر الوسيط .

وتساهم دراسة النصوص السحرية في تأمل اليهودية، فإن أساليب تدوينها تشبه إلى حد

بعيد تلك الأساليب المدونة في نصوص عن العرافة، والكهنة والرجم بالغيب، والتنبؤ ـ والتي تزيد عليها بتلك الخاصية بوصف الأدوية والعلاج السري، إن دراسة الكتب السحرية والتمائم السحرية تساهم في الكشف نفسياً عن التفاعلات التي تضطرم في نفوس تلك الطوائف اليهودية، كما تساهم اجتماعيا في رسم صورة عن الشخصية اليهودية، ليس فقط عند تلك الفئة المعوزة أو فاقدة الأمل بل أيضا عند فئة لها مكانتها الاجتماعية والسياسية .

وقد كان الباحثون السابقون ينظرون بازدراء إلى دراسة كسرات الجنيزا الخاصة بالسحر، الكيمياء، العرافة، الكهانة، والرجم بالغيب بل ويحطون من قدرها وأهميتها حتى تم نشر "كتاب الأسرار" على يد (مارجاليوت) " فبدأ الاهتمام بهذه النصوص السحرية حيث كرست جهود الباحثين في الثمانينيات والتسعينيات لفحص وتمحيص كسرات الجنيزا التي تتعلق بعلوم السحر والتنجيم على سبيل المثال: **Joseph Naveh and Michael Swartz Shaul Shaked and Peter Schaefer** .

مضمون كتاب "الأسرار" الحالي:

و يتضمن سبعة فصول يتناول كل منها الحديث عن إحدى السماوات السبع وموجز القول فيها كالآتي :

أولا : السماء الأولى הרקיע הראשון

وبها الشمس و السبعة كراسي معدة هناك و عليها سبعة حراس يجلسون و يستمعون لبني آدم و يقومون على تذكيرهم بالمعجزات.

ثانيا : السماء الثانية הרקיע השני

وفيها الصقيع و مصادر الثلج ومصادر البرد وملائكة النار، وملائكة الرعدة (الرجفة) وأرواح الرهبة وأرواح الخوف، هذه السماء الثانية ملأ بالخوف لأن في وسطها ملائكة تعمل جموعا، وعليها رؤساء وحكام، وبها اثنتا عشرة درجة وعلى كل درجة تقف ملائكة بعظمتها تسمع لعمل بني آدم ـ إلى كل من يتقرب إليها في طهارة .

ثالثا : السماء الثالثة הרקיע השלישי

وهى ملأ بمصادر الضباب ومنها تخرج الرياح وفي وسطها معاقل الرعد والبرد، وبها ثلاثة رؤساء يجلسون على كراسيهم، وهم ولباسهم في هيئة نار وهيئة الكراسي كالنار تلمع كالذهب وهم كالنار وصوتهم مثل دوي الرعد، يتحكمون في ملائكة النار التي أعينها مثل

قنوات الشمس وتهيمن على دائرة البروج (גלגל המזלות)، لها أجنحة تطير، وصهيل فمها كالأحصنة، مرآها كالمشاعل تتحدث وترتعد، تزأر، تحلق في كل اتجاه وتطير في كل منعطف .

رابعا: السماء الرابعة הרקיע הרביעי

وهي ممتدة في اتجاه الريح و تقف على أعمدة نار، مرفوعة على أكاليل اللهيب وملأ بأسرار العظمة، و فيها ملائكة خفيفة الحركة تندفع راكضة ركضا، وبها سبعة أنهار من النار والماء، وعليها تقف ملائكة بلا عدد.

خامسا: السماء الخامسة הרקיע החמישי

وهي مرفوعة و عالية جدا، في منظرها جلال، وفيها سحب المجد، وملأ بملائكة التفاخر (المباهاة) تتنقل في وسطها في خوف وذعر، ركضها مثل هياج البحر، ومن تنفسها يخرج البرق ولها أجنحة من النار مغطاة بأكاليل من نار، ومن وجوهها تلمع السماء. وهي معينة على شهور السنة الاثني عشر وتفهم ما يكون في كل شهر .

سادسا: السماء السادسة הרקיע הששי

كنوزها ملأ بالعسل، وفيها مكان لأرواح الورعين، يحيط بها الضوء والنار وفيها عشرات الآلاف من الملائكة تقف في خوف ورجفة وعلى رأس كل منها إكليل من نار، ملائكة مخلوقة من اللهب وتشتعل كالنار .

سابعا: السماء السابعة הרקיע השביעי

وكلها نور، ومن نورها يلمع الكون وبها كرسي "العظمة" وبها خزائن الحياة وخزائن النفوس. وبها ملائكة أعينها كأشعة البرق تمجد في خوف الجالس فوق كرسي العرش لأنه وحده يجلس في ملجأ قدسه يتحدث في صدق ويحكم بالعدل، وأمامه كتب نار مفتوحة وأمامه أنهار نار، لكنه خفي عن الأعين، لا يحيى من يراه، صورته خفية ولا تخفي عليه صورة أحد.

وفى طيات الحديث عن السماوات السبع يشتمل "كتاب الأسرار" أيضا على سرد مجموعة هائلة من " الطلبات " و كيفية الاستعانة بسبل "التعزيم " لنيل الاستجابة لها ٠ فعلى سبيل المثال لا الحصر :

" إن أردت أن تغرس حب رجل في قلب امرأة، أن تجعل رجلا فقيرا "

يتزوج من امرأة غنية : خذ صفحتين (معدنتين رقيقتين) من النحاس " واكتب عليها أسماء هؤلاء الملائكة من الجانبين واسم الرجل واسم المرأة " .

" وقل : أتوسل إليكن وأناشدكن أيتها الملائكة التي تهيمن على " بروج "

" أبناء آدم وحواء أن تفعلن كرغبتي فتقربن برج فلان بن فلان " إلى المرأة فلانة بنت فلانة فتعجب به ولا تسمحن لها بان تكون لغيره "

" وضع صحيفة في أتون النار والأخرى في بركة مياه تطهر المرأة، "

" وافعل ذلك في التاسع والعشرين من الشهر عند اكتمال القمر والنور "

" وامتنع أنت عن كل امرأة ثلاثة أيام وعن الخمر واللحم " .

" إن أردت أن تفعل شيئا للعلاج : قف في الساعة الأولى والثانية "

" من الليل وخذ بيدك " المر " و" اللبان " وهو موضوع على جمرات النار "

" لأجل الملاك المهيمن الأول الذي يدعى أورفنيئيل " واذكر أسماء "

الاثنين وسبعين ملاك الذين يخدمون أمامه سبع مرات وقل هكذا "

" إني أنا فلان بن فلان أطلب من لدنك أن تنجح على يدي علاج فلان بن فلان، وكل ما تطلب يتماثل للشفاء سواء بالكتابة أو بالسؤال "

" وطهر نفسك من النجس وطهر نفسك من أية نية سيئة وعندئذ تنجح "

" إن أردت أن تعالج ألم الصداع النصفي خذ زهم (مادة ذهنية) "

" ثور أسود واكتب عليه أسماء هذه الملائكة في طهارة وضعة في وعاء "

" من الفضة على موضع الألم . وامتنع عن اللحم والخمر والمرأة الحائض "

" وكل كما هو نجس " .

" إن أردت أن ترى الشمس في الليل تطهر ثلاثة أسابيع "

" من كل مأكل ومشرب ونجاسة، وقف في هزيع من الليل ثلاث "

" ساعات وتغطى بأثواب بيضاء واذكر اسم الشمس وأسماء الملائكة "

" اللاتي تدرنها في الليلة الحادية والعشرين وقل : استحلفكن "

" أيتها الملائكة المحلقة في جو السماء بمن يرى ولا يرى، بالملك "

" الذي يكشف كل الخبايا الأسرار . . . الذي يقلب الظلام الدامس إلى "
" صبح ، ويضيء الليل كاليوم ، وتكشف له كل الأسرار واضحة "
" كالشمس ولا يعجز عن شيء . باسم الملك القدوس الذي يسيطر على "
" البروج والشمس والقمر يسجدان أمامه واستحلفكن أيتها الملائكة "
" إن تريني هذه المعجزة الكبرى ، فإني أريد أن أرى الشمس في عظمتها "
" ولا يغيب عني شيء من الأسرار . . . وعند انتهائك تسمع صوت رعد"
" من الشمال وترى برقا يخرج من وتضاء الأرض كلها . . وحين ترى ذلك "
" تسجد وتصلى"
" إن أردت أن تعرف وتفهم وتتنبأ بما يحدث في تلك السنة خذ قرطاسا "
" وقنينة وضع فيها زيت الناردين (سنبل الطيب)، واكتب على القرطاس ما تريد "
" وألقه في القنينة ، وقف إزاء الشمس وقت شروقها ، وقل : استحلفك "
" أيتها الشمس التي تضيء الأرض باسم الملائكة اللاتي تفهمن وتصغين إلى "
" فطنة وغموض رجال العلم أن تجيئي (أيتها الشمس) طلبي وتعرفيني "
" ماذا يكون في تلك السنة ولا تخفي عني أمراً . وتقسم هذا القسم "
" ثلاثة أيام ثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة تنظر إلى الزيت فترى كل "
" شيء صاعدا على وجهه ما يحدث في تلك السنة . وبعد ذلك تأخذ "
" الزيت وتسكبه لاسم الملائكة . وتخفي بقية ما هو مكتوب في الحائط "
" وتفعل كل ذلك في طهارة فتفلح " .
" إن أردت أن تدفع أحصنة للركض (بدون قوتها) فلا تخور قواها في "
" سباقها وتكون خفيفة كالريح ولا تسبقها رجل أي رازيئيل حيوان وتكون "
" ممتازة في سباقها خذ صحيفة من معدن الفضة واكتب عليها أسماء "
" الأحصنة وأسماء الملائكة وأسماء رؤسائهم وقل : استحلفكن "
" وأناشدكن يا ملائكة الركض التي تجري بين الكواكب أن تشجعن "
" وتبعثن الجرأة في أحصنة سباق فلان وفارسه الذي يجعلها تجري"
" فلا يرهق ولا يفشل فتجرى خفيفة كالنسر ولا يقف أمامها أي حيوان "

"ولا يضرها أي سحر وشعوذة . . . وخذ هذه الصفيحة واخفها في السباق الذي تريد أن تفوز فيه" .

وحيث إن الهدف من هذا البحث هو دراسة المصطلحات و مدلولها اللغوي والمدلول الذي تم إضفاؤه لصبغها بالصبغة الدينية أسوق بعضا من هذه المصطلحات الواردة في ספר הרזים " كتاب الأسرار " على سبيل المثال لا الحصر ٠

*** גולם " جولم " :**

يعتقد القباليون أن للأبجدية العبرية (٢٢حرف) خواصا سحرية .

فإذا رتبت بطريقة معينة أحدثت آثاراً سحرية متنوعة ٠ و على سبيل المثال صنع גולם "الجولم" و فكرته كالآتي : (**Gershom Scholem, p . 158**)

بعد تلاوة صلوات معينة وصيام أيام معينة كان اليهود يصنعون "شكلا بشريا" من الصلصال أو الطين و ينطقون عليه اسم إله **Shem hamphoras** "إله الإعجاز" ، تبعث فيه الحياة بواسطة نقش الكلمة السحرية (אמת) بمعنى " الحقيقة " على جبينه . إنه لا يستطيع الكلام، لكنه يفهم جيدا ما يقال أو ما يؤمر به، و يطلقون عليه " الجولم " ويستخدمونه كخادم يقوم بجميع الأعمال المنزلية، ويجب ألا يترك المنزل و على جبينه مكتوب (אמת= الحقيقة) ويكسب كل يوم وزنا، ويصير أقوى من أي فرد في البيت بصرف النظر عن كيف بدأ صغيرا، وخوفا منه يمحون الحرف الأول (א) فلا يبقى سوى (מת= ميت) وعندئذ ينهار جبينه، لكن الصلصال انهار وسقط على اليهودي فسحقه .

ولا شك أن فكرة " الجولم " كبشر مخلوق بواسطة الفنون السحرية ترمز إلى تنافس القوة المبدعة للإنسان مع القوى الخلاقة للرب عند خلقه آدم من طين ٠ وسواء جاءت هذه القوة عن طريق المنافسة والمحاكاة أو عن طريق التحدي والخصومة فكلاهما يعد منافياً للعقيدة اليهودية الموحدة .

ومن المنظور اللغوي هناك رابطة اشتقاقية بين آدم אדם الإنسان المخلوق بواسطة الله سبحانه وتعالى وبين الأرض אדמה، رغم عدم بيان ذلك في قصة الخليقة في سفر التكوين، لكنها رابطة اشتقاقية برزت في التعليق التلمودي على سفر التكوين – آدم مخلوق من الأرض אדמה وإلى الأرض يعود – نفس الرب منحه الحياة والكلام .

أما مصطلح " الجولم " فيعني في عبرية عصر العهد القديم " الجنين " (مزامير

١٣٩/ ١٦). وفي العصر الحديث زاد على " الجنين" بمعاني تشير إلى اليرقة "الشرنقة" .

وإلى أية مادة هلامية لا شكل لها، بل ويوصف به (مجازا) الجاهل والأحمق . وفيما بين هذين العصرين يشير المصطلح في عبرية عصر التلمود إلى إناء لم يكتمل صنعه وإلى جسد الإنسان بلا روح שהעמידו גולם (בראשית רבה יד/ י) ومجازا أيضا إلي الجاهل والأحمق שבעה דברים בגולם (אבות ה/ ל) بينما تبني في عبرية العصر الوسيط مفهوم الشكل البشري المصنوع من الصلصال أو الطين ونفخت فيه نسمة الحياة بواسطة أسماء مقدسة والتعزيم والتعويذ .

ونظرا لأن " الجولم " يعني أصلا في عبرية عصر العصر القديم عدم الاكتمال وعدم التمام كما أنه يشير في عبرية عصر التلمود إلى غلي جسد الإنسان بلا روح فهذا يعني أن البشر لا يمكن أن يخلقوا شيئا مكافئا لتمام خلق الله (سبحانه وجلت قدرته) .

*** דבוק " تلبس " :**

وجذره ينتمي إلى عبرية عصر العهد القديم (דבק بمعنى التصق) يقابل العربية دبق أما الفعل في وزن الشدة דיבק فصار يعني في عصر التلمود ربط، وثق " ومنه اشتق الاسم דיבוק الذي كان يعني في نفس العصر ربط ارتباط وصل " ثم تطور معناه في العصر الوسيط ليشير إلى الروح الشريرة، غير الراضية لرجل متوفى دارت ـ وفقا للمعتقد الشعبي اليهودي ـ وتلبست جسد إنسان . وهذا المعنى يراد ف معنى גלגול في العصر الوسيط وهو مصطلح يرمز أيضا إلى روح الميت التي تتناسخ ـ وفقا أيضا للمعتقدات اليهودية ـ وتدخل جسم إنسان آخر أو بهيمة .

وفكرة גלגול تشير إلى التقمص ـ فوفقا للفكر اليهودي تتجول الروح لعدة سنوات حتى تطهر وتسكن العالم الأخر . وعند الوفاة قد تصبح روح الشخص إما روحا غاضبة أو روحا مسالمة فمثلا عواطف كمثل الحب الذي تكتنف الغيرة أو الكراهية تولد روح خطيرة جدا ـ روح غير المتزوج رجلا أو امرأة أو روح رجل قتل في حادثة تكون قلقة منزعجة مشوشة تواجه صعوبة في الدخول إلى العالم الآخر . وأتصور إن هذه هي التي تعود فتلبس جسد شخص حي .

ورغم أن مصطلح גלגול وارد في العهد القديم (في صيغة الجمع) فإن معناه يشير إلى الأشياء التي لا شكل لها ومرادفا للأوثان و الأصنام، بينما يشير (المفرد) في عصر التلمود إلى "الدحرجة والدوران و التنقل " גלגול ביצתה (ירושלים، סוטה، טז/ ג) .

* כישוף "سحر" :

يشير مصطلح " السحر في العهد القديم إلى عمليات السحر عامة، و ترد في سياق واحد مع مصطلحات أخرى تنتمي إلى مجال الفعل السحري كالعرافة (קסום) والتنجيم والتنبؤ נחוש وكلها أعمال تحتسب كفرا، بل وتدخل في نطاق عبادة الأوثان " لا تدع ساحرة تعيش" (خروج ٢٢/ ١٨)، فيبدو أن السحر كان مهنة المرأة عامة وهي مهنة مرتبطة بالزنا والبغاء (ملوك ثاني ٩/ ٢٢).

وفي عصر التلمود اعتبر "السحر" مرادفا للوثنية وإنكار الألوهية، غير أن الحكماء لم يتمكنوا من اجتثاثه بل وفسروه في المصادر نفسها كأعمال احتيال وتلاعب وخداع. فللمصطلح אחיזת עיניים معنيان :

١ـ صنيع تعجل ولؤم أو خداع مخطط.

٢ـ عمل سحري يتمايز عن السحر العادي بأنه لا يحدث تغييرا في الواقع.

و في أدب العصر الوسيط استخدمت للسحر مسميات أخرى كمثل معالجة الأعراض المرضية סגולות والفأل والتغلب والتذبذب רפפות حيث اختلط في الأذهان التمييز بين السحر و بين مجالات أخرى كالعلاج، ففي المؤلفات الخاصة بتعاليم علاج الأمراض بأسلوب العلاج الشعبي يطلبون مساعدة الملائكة و الشياطين لطرد المرض مثلما ورد في التلمود (אינציקלופדיה יהודית עמ' ١٠٩٠).

خاتمة

- أكاد أخلص بأن " كتاب الأسرار " هذا إنما هو تجميع لكسرات متفرقة و قطع ممزقة أخفيت وسط مخطوطات الجنيزا في شتى أنحاء العالم . و كان تمزيقها (من أعلى إلى أسفل) و إخفاؤها و بعثرتها دليلا على محاولة درء اليهود عن أنفسهم اشتغالهم وانشغالهم بالسحر لكنهم بالطبع لم يشاءا إبادتها كعادتهم في حفظ كل ورقة تتعلق بهم في الجنيزا . ومن ثم أشك في أن هذه الكسرات المجمعة من مخطوطات سحرية هي نفسها تلك المنسوبة إلى سيدنا الكريم آدم أو سيدنا نوح أو سيدنا سليمان (عليهم جميعا السلام) .
- فبالإضافة إلى تفصيل ذكر فنون السحر و الشعوذة فإن دراستها لغويا تشير إلى أن مدلول جل مصلحاتها ينتمي إلى المدلول في عبرية العصر الوسيط ، كما يسلك أسلوب كتابتها أسلوب كتابات الأدباء في العصر الوسيط فمثلا .
- الاستعانة بمفهوم المفردات حسبما ورد في عصر عبرية العصر الوسيط גחלי (גחלת جمر) תושבחה (תשבחה مدح) גלגל המזלות (دائرة البروج) צנור (سبيل التأثير) סתומות (أمور غامضة) שר (كناية عن رجل ذي مكانة) .
- الاستعانة ببعض مفردات العربية كمثل לבונה (لبان) מור (مر) .
- الاستعانة بنهاية الجمع في الآرامية (ـין) געשין רעדה، מתרעשין רגפה، מתעטפין يكتسون أو يتضاءلون .
- الاستعانة بالترادف (אימה، יראה) (خوف)، להב، להט وأيضا להב ، אש في معنى اللهب و الحرارة الشديدة ، כבוד ، הדר (في معنى المجد والعظمة)، געש ، רעש (ارتعد) . עטה ، כסה (غطى)، נעלמה ، נסתרה (أخفى) ، אופל ، חושך (ظلام) .

كما لوحظ ورود صيغ تنتمي إلى عصر التلمود كمثل صيغة المصدر اللامي לידע (לדעת معرفة) .

- وجدير بالذكر أنه بمقارنة خط هذه الكسرات مع مخطوطات العصر الوسيط أجد أنه يماثل الخط السفرادي .

مراجع مختارة

١) تفسير الجلابين، تقديم د٠ عبد الحي الفرماوي، القاهرة ١٩٩٩

2) ר מדרשים, נאסף ונערך ע"י דוד איזענשטיין, חלק (ב), ללא תאריך.

3) ציקלופדיה יהודית.

4)רדכי מרגליות, ספר הרזים, ירושלים, תשכ"ז.

5) **dechai Margalioth, Sefer Harazim, Jerusalem, 1966** .

6) **Geoffry W. Dennis, Encyclopedia Mythtica, p. 2004** .

7) **Gershom G. Scholem, Major Trends in Jewish Mysticism, New York, 1941** .

8) **Gideon Bohak, Genizah Fragments, 2005** .

9) **Michael D. Swartz, A Magic All Its Own, The Newsletter of The Association for Jewish Studies, 2000** .

obeikandl.com